عرض كتاب الخدمة الاجتماعية البيئية

ENVIRONMENTAL SOCIAL WORK

عرض وترجمة

أستاذ دكتور / مدحت محمد أبو النصر

رئيس قسم المجالات (سابقا) وأستاذ تنمية وتنظيم المجتمع

كلية الخدمة الاجتماعية جامعة حلوان

رئيس لجنة ترقية الأساتذة قطاع الخدمة الاجتماعية

بالمجلس الأعلي للجامعات

الكتاب بعنوان : الخدمة الاجتماعية البيئية ENVIRONMENTAL SOCIAL WORK من تحرير كل من ميل جراي ، وجون كوتس ، وتياني هيثينجتون Mel Gray, John Coates (edrs.).Tiani Hetheington. الناشر: روتليدج Routledge ، لندن : الطبعة الأولي ٢٠١٣ ، والطبعة الثانية ٢٠٢٠. الكتاب مكون من ٣٦٠ صفحة و ٣ أجزاء و ١٥ فصلا وخاتمة.

ونظرا لما لاقاه الكتاب الحالي من ترحيب كبير من قبل جمهور القراء المهتمين أو المعنين بموضوعات حماية البيئة من التلوث وبالتغير المناخي والمشكلات البيئية وكيفية تأثيرها السلبي علي البشر بصفة عامة والأفراد والأسر والجماعات الفقيرة والضعيفة والمهمشة والمعرضة أكثر للمخاطر والمهاجرين ... تم تقديم هذه المراجعة حتي يستفيد من الكتاب القارئ العربي.

في بداية الكتاب تم تعريف الخدمة الاجتماعية على أنها مهنة متعددة الوجوه ؛ فهي فن وعلم ومهنة وعملية تهدف إلي مساعدة الناس علي تنمية قدراتهم ووقايتهم من المشكلات واشباع حاجاتهم وحل مشكلاتهم. والخدمة الاجتماعية لها ثلاثة أسس هي : الأساس القيمي والأساس المعرفي والأساس المهاري.

وترتكز مهنة الخدمة الاجتماعية علي قاعدة معرفية انتقائية ، حيث تختار أو تنتقي المعارف المناسبة لها حسب طبيعة وخصائص نسق العميل والنسق المستهدف وطبيعة وخصائص المواقف والمشكلات ...

لقد أدى تزايد حدوث الكوارث البشرية والطبيعية والتغير المناخي بشكل سلبي وزيادة معدلات تلوث البيئة بمختلف أنواعها من تلوث للهواء والماء والتربة ... إلى توجيه نداء واضح لمهنة الخدمة الاجتماعية للعب دور هادف ورئيسي في مواجهة مثل هذه التحديات والمشكلات البيئية.

وعلى مر السنين بدأت مهنة الخدمة الاجتماعية مع الحركة البيئية ، وساهمت الخدمة الاجتماعية بالفعل في حماية البيئة من التلوث ، وذلك من خلال مشاركتها في برامج التوعية البيئية وتحفيز التطوع والمشاركة الشعبية للقيام بمشروعات بيئية ، مثل : حملات التشجير وحملات جمع القمامة وحملات نظافة الشواطئ وحملات إعادة تدوير المخلفات وندوات التوعية البيئية ...

ومجال الخدمة الاجتماعية والبيئة أو الخدمة الاجتماعية في مجال حماية البيئة من التلوث أصبح لها تسميات أخري تعبر عن نفس المضمون في الوقت الحاضر ، منها : الخدمة الاجتماعية الخضراء Green Social Work والخدمة الاجتماعية البيئية Environmental Social Work...

ففي العام ٢٠١٠ ظهرت تسمية حديثة نسبيا للخدمة الاجتماعية في مجال حماية البيئة من التلوث هي : الخدمة الاجتماعية الخضراء. ويعرف مجلس تعليم الخدمة الاجتماعية Council of Social Work Education (٢٠١٠) الخدمة الاجتماعية الخضراء بأنها فرع من فروع مهنة الخدمة الاجتماعية ومجال من مجالاتها ، يهتم بحماية البيئة من التلوث والمحافظة علي الموارد البيئية وتعزيز الوعي البيئى لدي الناس وتحسين اتجاهاتهم وسلوكياتهم البيئية.

ويمارس هذا الفرع بواسطة الأخصائيين الاجتماعيين الذين يعملون في هذا المجال وفي أجهزة حماية البيئة من التلوث سواء كانت حكومية أو أهلية (تطوعية – غير هادفة للربح – القطاع الثالث)، لإنجاز أهداف معينة وذلك عن طريق إكساب الانسان قيم الوقاية والمحافظة على البيئة ورعايتها، وهى تركز على جانبين أولاً: البشر وثانياً: البيئة، وأن الانسان فى حالة تفاعل مع البيئة التى يوجد فيها، وبذلك نجدها أكثر المهن استجابة للمتغيرات المتجددة التى يتعرض لها المجتمع.

والخدمة الاجتماعية الخضراء كنمط حديث نسبيا في مهنة الخدمة الاجتماعية هي تسمية لمجال من مجالات تعليم وممارسة هذه المهنة ، وهو مجال حماية البيئة من التلوث. ولكن

ظهور هذا المصطلح بهذا الشكل لتأكيد أهمية وضرورة زيادة اهتمام مهنة الخدمة الاجتماعية بموضوع حماية البيئة من التلوث والعمل علي تحقيق الإصحاح البيئي ومواجهة التدهور البيئي والكوارث والأزمات البيئية بشكل دائم ومستمر ويومي وبالتعاون مع التخصصات المهنية الأخري المعنية بالبيئة. ومن الكتب الرائدة في هذا الموضوع كتاب لينا دومينلي Lena Dominelli عام ٢٠١٨ بعنوان : الخدمة الاجتماعية الخضراء النظرية والممارسة : نموذج بيئي جديد للمهنة

Green social work theory and practice: a new ecological model for the profession

ويشير اللون الأخضر هنا إلي البيئة أو إلي الخضرة أو البيئة الخضراء أو الصحيحة أو النظيفة أو غير الملوثة. وتهتم أيضا الخدمة الاجتماعية الخضراء بكيف يمكن أن يؤثر عدم الاستقرار البيئي على حياة الأفراد والجماعات والمنظمات والمجتمعات وذلك من الناحية الاجتماعية والنفسية والجمالية والاقتصادية والمالية...

وغالبًا ما يعمل الأخصائيون الاجتماعيون في الخطوط الأمامية مع الأشخاص المتأثرين بالقضايا البيئية. فلدينا ممارسون يعملون مع الأسر التي لا تستطيع بسبب الفقر والبطالة دفع فاتورة الكهرباء والماء والغاز المرتفعة والمتزايدة كل فترة. ولدينا ممارسون يقدمون الدعم للأشخاص الذين ليس لديهم مأوى (مثل : المشردين وأطفال بلا مأوي والمهاجرين أحيانا) من خلال محاولة إيجاد مأوى مناسب لهم أثناء الأحداث الجوية القاسية ، مثل موجة البرد الشديد أو موجة الحر الشديدة. لذلك نظرًا لأن الممارسين يجدون أنفسهم منخرطين بشكل متزايد في هذه القضايا على خط المواجهة ، فإننا نجد أننا بحاجة إلى نقل المهنة نحو القدرة على معالجة هذه المشكلات البيئية بشكل أفضل.

ومن الأمور المهمة في الخدمة الاجتماعية الخضراء معالجة عدم المساواة في التأثيرات البيئية ، حيث أن القضايا المتعلقة بتغير المناخ والطقس القاسي لا تؤثر على الجميع بالتساوي. وترتكز مهنتنا على قيم العدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان ، والآن بدأنا نفهم

الآثار غير المتناسبة لتغير المناخ على الأشخاص المحرومين ، سواء من حيث الفقر أو البطالة أو الإعاقة أو الهجرة أو اللاجئين أو التشرد. وغالبًا ما تكون أي من هذه الفئات أو المجموعات تعاني من الحرمان غير قادرة على الاستعداد لأي طقس شديد ، وأقل قدرة على مواجهة هذا الطقس الشديد ، وأقل قدرة على التعافي. وفي كثير من الأحيان ، يتواجد الأشخاص من خلفية محرومة في مناطق أكثر عرضة للخطر من الناحية البيئية.

لذلك من المهم أن يصبح الأخصائيون الاجتماعيون أكثر انخراطًا في هذه القضايا ، فضلاً عن تقديم التوعية المطلوبة والمساعدات اللازمة وتوفير صوت لهذه الفئات المحرومة أو المهمشة أو الضعيفة.

ويفتح مفهوم الخدمة الاجتماعية الخضراء بعداً جديداً فى الخدمة الاجتماعية للموضوعات البيئية ، فهو مفهوم متميز فى كونه له نظرة شمولية في موائمة الشخص مع البيئة والعكس موائمة البيئة مع الشخص ، كما يسلط الضوء على طبيعة الروابط والعلاقات بين جميع عناصر ومكونات البيئة سواء الحية أو غير الحية وفي علاقتها بالإنسان ، وأنه قد تضيع محاولات تحسين الظروف الاجتماعية إذا كان المجتمع نفسه يفتقر إلى الهواء النقي والمياه الصالحة للشرب والغذاء المطلوب والمسكن المناسب ، بالإضافة إلي زيادة الاهتمام بالمدخل الوقائي عند التعامل مع المشكلات البيئية بدلا من انتظار حدوثها أو وقوعها ثم التحرك لعلاجها (المدخل العلاجي).

أيضا هذا المفهوم يهتم بمفهوم العدالة البيئية Environmental Justice بجانب مفهوم العدالة الاجتماعية Social Justice . ويقصد بالعدالة البيئية الكفاح من أجل الوصول إلى بيئة آمنة وصحية خالية من التلوث والوصول إلى الموارد البيئية اللازمة للبقاء والرفاهية والاستمرارية والاستدامة. أيضا يمكن تعريف العدالة البيئية بأنها المعاملة العادلة والمشاركة الهادفة لجميع الأشخاص بغض النظر عن النوع أو اللون أو الدخل أو الديانة أو الأصول العرقية أو الجغرافية ... فيما يتعلق بتطوير وتنفيذ وإنفاذ القوانين واللوائح والسياسات البيئية.

ومن أمثلة عدم العدالة البيئية : عدم كفاية الوصول إلى الغذاء الصحي والكافي ، والنقل غير الكافي وغير المناسب ، وتلوث الهواء ، وتلوث الماء ، وتلوث التربة ، والمنازل غير الآمنة...

وتكون الكتاب من ٣ أجزاء و ١٥ فصلا. الجزء الأول تضمن ٥ فصول اهتمت بتوضيح كيف أن البيئة لها تأثير كبير على رفاهية الإنسان ، ونظريات العدالة البيئية والاجتماعية ، والقضايا المتعلقة بالاستدامة ، والروحانية أو المدخل الروحي وعلاقته بالبيئة ، وحقوق الإنسان ومنها الحقوق البيئية..

كما تم الحديث عن التدخلات المهنية للخدمة الاجتماعية مع الفئات المهمشة أو المحرومة أو المظلومة أو الضعيفة المتأثرة بتغير المناخ ، وكذلك القضايا المتعلقة بالاستدامة البيئية. كما تم استكشاف العلاقة بين البيئة والروحانية ، وهو موضوع ربما يجد صدى لدى القراء في البلدان النامية والمتخلفة.

ويمكن للأخصائيين الاجتماعيين أن يلعبوا دورًا رئيسيًا في الكفاح من أجل تحقيق العدالة البيئية ، مما يساعد على منع ومعالجة عواقب تغير المناخ من خلال التعليم والدعوة والتوعية وتنظيم المجتمع ، ...

ويحتوي الجزء الثاني أيضًا على ٥ فصول ، وهي دراسات حالة لممارسة الخدمة الاجتماعية البيئية. تتراوح الموضوعات من الحدائق الحضرية والعمل مع المجرمين الشباب لممارستها مع أولئك المتأثرين بشكل مباشر بتغير المناخ. تستند إحدى دراسات الحالة إلى حملة لإنقاذ الحدائق الحضرية في مدينة نيويورك.

بينما تناقش دراسة أخرى ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الأسر المتضررة من الجفاف في أستراليا. وتركز دراسة حالة ثالثة على الحيوانات غير البشرية ، مع الحجة القائلة بأن الاهتمام بالبيئة لا يمكن حصره في مصالح ورفاهية البشر وحدهم. وتنظر دراستا الحالة الأخيرتان في كيفية مشاركة الأخصائيين الاجتماعيين في المبادرات البيئية للمجرمين الشباب في هيوستن وتكساس ومن أستراليا ، وكيف يمكن للخدمة الاجتماعية أن تشارك في النضال

من أجل المسؤولية الاجتماعية للشركات. في حين أن دراسات الحالة هذه مفيدة إلا أنها للأسف جميعها تستند إلى تجارب من العالم الغربي.

ويتناول الجزء الثالث – والمكون من ٥ فصول أيضا – من الكتاب علي موضوعات : التعليم والتعرف على القضايا البيئية في الخدمة الاجتماعية. وتركز فصول الجزء الثالث على كيفية إعداد طلاب الخدمة الاجتماعية لممارسة الخدمة الاجتماعية البيئية بالشكل المهني الصحيح والمتوقع في ضوء أسس المهنة (القيمي والمعرفي والمهاري)، ومناقشة الطرق التي يمكن من خلالها إشراك المجتمع المحلي في القضايا البيئية ، وتشجيع العمل التطوعي وخاصة لفئة الشباب ، وعرض بعض آراء الأخصائيين الاجتماعيين حول القضايا البيئية ، بينما يجادل فصل آخر بأن أفضل طريقة لمواجهة تعقيد التحول البيئي هي من خلال الأخصائيين الاجتماعيين الذين يعملون بشكل تعاوني في فرق عمل متعددة التخصصات.

وأخيرا يتناول الفصل الأخير من هذا الجزء تعليم وممارسة الخدمة الاجتماعية في مجال الإغاثة أو من أجل العمل الإغاثي. ويوضح هذا الفصل الأدوار والمسئوليات المهنية المطلوب من الأخصائيين الاجتماعيين ممارستها والقيام بها عندما تحدث أزمات وكوارث ومشكلات بيئية / مما يتطلب معه تقديم العديد من خدمات الأغاثة لمن يعاني من هذه الأزمات والكوارث والمشكلات. ومن أمثلة هذه الخدمات : خدمات المعلومات والتوعية والارشاد وخدمات الأيواء وخدمات التغذية والإعانات المالية والمساعدات المادية ...

بالإضافة إلى الفصول الخمسة عشر ، يحتوي الكتاب أيضًا على خاتمة للكتاب تستعرض القضايا الناشئة في مجال الخدمة الاجتماعية البيئية ، بالإضافة إلى الاتجاهات الجديدة للعمل مع أولئك المتأثرين بالمشكلات البيئية ، وأهمها تشجيع وتحفيز وتعزيز مشاركتهم في جميع مراحل العمل من أجل شراكة ناجحة ومواجهة فاعلة لهذه المشكلات. أيضا من الاتجاهات الحديثة تفعيل برامج المسئولية الاجتماعية للقطاع الخاص الربحي في المساهمة في تمويل برامج حماية البيئة من التلوث ، وتعزيز الشراكة بين الحكومة والجمعيات الأهلية والقطاع الخاص الربحي.

وتعكس الفصول الواردة في هذا الكتاب تنوع القضايا والأنشطة البيئية. والكتاب يخرج بشكل متجدد من شكل الممارسة التقليدية أو النمطية لمهنة الخدمة الاجتماعية ، إلي شكل الممارسة غير التقليدية والمتجددة. والكتاب هو مساهمة جديرة بالاهتمام في المناقشة لأنه يقدم اتجاهات جديدة لمهنة الخدمة الاجتماعية في سعيها إلى تحقيق الملاءمة بين الشخص والبيئة Compatibility between person and environment .

وتعرف ملائمة الشخص للبيئة Suitability of the person for the environment علي أنها درجة تطابق الخصائص الفردية مع الخصائص البيئية .ومن أمثلة خصائص الشخص : الأهداف والقيم والحاجات والقدرات أو خصائص شخصية أو اجتماعية أو نفسية أو بيولوجية... في حين أن الخصائص البيئية تتضمن كل ما يحيط بالشخص من ثقافة ومشكلات وموارد وأفراد وجماعات ومنظمات ...

ومن ناحية أخري من المهم أيضا الاهتمام بملائمة البيئة للشخص Suitability of the environment for the person بمعني تجهيز وترتيب وتنظيم وتحسين البيئة حتي تتلائم مع خصائص الشخص وتساعده علي تحقيق أهدافه وتجعل حياته أفضل سواء في المنزل أو الشارع أو في المدرسة أو في العمل... كذلك من المهم أن يحافظ الشخص علي البيئة ويحميها من التلوث ويقلل دوره في ظهور المشكلات البيئية ويساهم في علاجها.

ويطالب الكتاب الأخصائيين الاجتماعيين بتقدير دورهم الهام الذي يمكن أن يلعبوه في حماية البيئة من التلوث. وليس القصد من هذا الكتاب تحويل الأخصائيين الاجتماعيين إلى خبراء بيئيين ، ولكن تشجيعهم علي الانخراط في مشروعات وبرامج ومبادرات حماية البيئة من التلوث.

والكتاب هو بالفعل مساهمة مفيدة في الأدبيات الموجودة لأنه يعالج الانفصال الحالي بين عمل أخصائيي البيئة (المتخصصين في العلوم والأحياء والنبات والحيوان والمناخ والمياه والزارعة والتصحر...) والأخصائيين الاجتماعيين. ربما يكون أكثر نقاط ضعف الكتاب وضوحًا

هو إخفاقه في تضمين أمثلة من البلدان النامية والمتخلفة، لا سيما بالنظر إلى أنها تميل إلى أن تكون الأكثر تضررًا من المشكلات البيئية.

في البداية كانت مسألة مشاركة الأخصائيين الاجتماعيين في الشؤون البيئية مثيرة للجدل ، حيث جادل بعض النقاد بأنه لا يمكن توقع أن يكون الأخصائيون الاجتماعيون خبراء في كل مجال ، ومع ذلك ، نظرًا لأن الأمور البيئية تؤثر في نهاية المطاف على جودة حياة الإنسان ، وبالنظر إلى حجم التحديات المطروحة.

فمن المنطقي أن تشارك مهنة الخدمة الاجتماعية بجدية في النضال من أجل حماية البيئة من التلوث. وأنني أنصح بقراءة هذا الكتاب بواسطة كل من يعمل في مهنة الخدمة الاجتماعية سواء كانوا أعضاء هيئة التدريس بصفة عامة ومن يُدرس مادة الخدمة الاجتماعية في مجال حماية البيئة من التلوث بصفة خاصة ، والأخصائيين الاجتماعيين بصفة عامة والعاملين منهم في مجال حماية البيئة من التلوث بصفة خاصة ، وطلاب الخدمة الاجتماعية ، وطلاب معاهد وكليات الدراسات البيئية ، والباحثين المهتمين بمجال حماية البيئة من التلوث...

لمزيد من القراءة انظر : مدحت محمد أبو النصر : الخدمة الاجتماعية في مجال حماية البيئة من التلوث " الخدمة الاجتماعية الخضراء "(المنصورة : المكتبة العصرية ، ٢٠٢٢).